المدن
جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى

مؤرّخة فلسطين ولبنان..وداعاً الرائعة نادين بيكودو

كميل داغر | الثلاثاء 2026/07/14

نادين ونجاة زوجة كميل داغر

مشاركة عبر

حجم الخط

المدن
جريدة إلكترونية مستقلة ·· وفي رواية أخرى

كانت الحرب الأهلية اللبنانية قد بدأت، قبل شهر ونيف، وكنت تعرضتُ لإطلاق النار عليَّ، فيما أنا عائد بسيارتي الى بيتي في فرن الشباك، عبر أوتوستراد بشارة الخوري، في 26 أيار 1975، وذلك على أيدي مقاتلين من إحدى الميليشيات اليمينية، كانوا يتمترسون امام بناية أشمون، مباشرةً فوق ما كان يعرف بساحة الدباس. ويبدو انني انحرفت في تلك اللحظة في اتجاه الخندق الغميق، بعد إصابتي بطلقتَيْ إم سيكستين M16 .

أُجريت لي عملية جراحية أولى، في اليوم نفسه، في مستشفى المقاصد، لاستئصال شظايا رصاصة متفجرة مرت من فوق القلب في اتجاه الكبد والحجاب الحاجز، فيما استقرت أخرى عادية في رئتي اليسرى، وامتنع الاطباء في اليوم الأول عن استئصالها، املًا في أن تتآخى مع المكان، ولكنهم عادوا فاستأصلوها في صباح اليوم التالي.

في ذلك اليوم، كانت نادين بيكودو - الشابة الفرنسية المقيمة، في تلك الفترة، في دارة الأخوات الفرنسيسكانيات، **Le foyer des Soeurs Franciscaines**، في منطقة بدارو، حيث تعرفَتْ الى طالبة جامعية لبنانية، ومدرِّسة للغة العربية، اتفقت معها على تعليمها هذه اللغة، بحيث تتمكن من متابعة إعدادها لأطروحة دكتوراه في التاريخ عن مدينة طرابلس – كانت نادين، إذاً، تُمضي مع مدرِّستها، نجاة (التي ستصبح في ما بعد زوجتي)، عدة أيام في بيت أهل هذه الاخيرة، في بطرام-الكورة. وهناك عرفَتْ من أحد أقاربها، انه قرأ في جريدة النهار خبر إصابتي بجراح بليغة.

إثر ذلك، كتمت النبأ عن نجاة، ولكنها أخبرَتْها بأنها مضطرة للعودة الى بيروت، وسألتها، مع بعض الإلحاح، إذا كانت سترافقها. وهو ما حصل بالفعل. وحين وصلتا إلى ساحة الشهداء، أفضت لها بما سمعته، لكن مع ابلاغها أن الإصابة لا تتعدى جرحاً بسيطاً. الأمر الذي لم تصدقه نجاة، متوقعة الأسوأ. وقد

المدن
جريدة إلكترونية مستقلة ·· وفي رواية أخرى

كان صوت الرصاص يلعلع على جانبي طريق الشام، ومع ذلك أعلمت نجاة صديقتها بأنها ستذهب على الفور الى مستشفى المقاصد. وقد حاولت نادين ثنيها عن هذه المغامرة، ولكن عبثاً، فأصرت عندئذ على مرافقتها. غادرتا، حتى المتحف الوطني، وهناك سألتا أحد افراد الامن الداخلي ما عساهما تفعلان للوصول الى المشفى المذكور، فثناهما عن ركوب سيارة، ونصحهما بأن تركضا بصورة ملاصقة لحائط حلبة السباق وقصر الصنوبر. وهو ما فعلتاه، وسط الهلع الشديد.

كان ذلك التضامن، المفعم بالكثير من الشهامة، والمحفوف بمخاطر أكيدة، الحركة الاولى التي كشفت، بالنسبة إلينا، معدنك الإنساني الرائع، يا صديقتنا القادمة، يومئذٍ، من بلدة لابارد الصغيرة، في ريف فرنسا الجنوبي الغربي. فحين عرفتُ منكما واقع الطريق الذي سلكتماه للوصول الى الغرفة التي كنت ارقد فيها، كان تأثري كبيراً. وهو ما عدتِ وذكَّرْتِني به، في المرة الاخيرة التي زرتِنا خلالها، بين السابع والعشرين من نيسان، والثاني من أيار 2023. فرغم اننا التقينا مراراً قبل ذلك التاريخ، سواء في لبنان أو في باريس، كانت تلك هي المرة الوحيدة التي استعدتِ فيها تلك الذكرى وتحدثتِ عنها باستفاضة.

هذا ولن أنسى أنك قضيت جزءاً أساسياً من الفترة الأولى لحربنا الطويلة، في بيروت، ولا سيما في أواخر سبعينيات القرن الماضي، وتعرفتِ خلالها أكثر إلى المقاومة الفلسطينية في لبنان، وبدأت تتعمقين في الاهتمام بقضية الشعب الفلسطيني، حتى انك غيرتِ موضوع أطروحتك فصار التالي:
De la question de Palestine à la cause palestinienne : genèse d'un mouvement national

كما لن أنسى أيضاً أنني، ونجاة، أمضينا، مباشرة بعد زواجنا، حوالى الشهر، بالنسبة لي، في أواخر صيف العام 1976، والشهرين، بالنسبة لنجاة، التي بقيت

المدن
جريدة إلكترونية مستقلة ·· وفي رواية أخرى

وخلال الاجتياح الصهيوني للبنان، في العام 1982، رأيناك بيننا، في بيروت، مرتين، الاولى خلال مغادرة المقاومة الفلسطينية للمدينة الى تونس، والثانية في اواخر ذلك العام. وكان النقاش يدور بيننا، في الحالتين، كما لو كنتِ في الصميم من قضايانا، اللبنانية كما الفلسطينية، والعالمية، أيضاً. ولا أذكر أننا اختلفنا، يوماً، في تقييم ما يحدث، على المستوى السياسي، أو في أيٍّ من النقاشات الفكرية التي دارت في ما بيننا. ولقد ذهلتُ، حين بقيتِ تذكرين أمراً نسيته تماماً كنت قلته لك، حين استهولتِ، في زيارتك لنا، في أواخر آب من ذلك الصيف، ما اعتبرتِهِ هزيمةً كبرى لليسار اللبناني والمقاومة الفلسطينية، بعد رحيل هذه الاخيرة، وانتخاب بشير الجميل رئيساً للبلاد. ذكَّرْتِني، في الزيارة الثانية، بتأكيدي لك، بعد انتخاب المذكور، أنه قد لا يتمكن من استلام منصبه، وأخبرتِني أن صحة هذا التوقع أثارت لديكِ، حين تأكدَتْ، الكثيرَ من الدهشة.

يا صديقتنا الرائعة، التي غادرت هذا العالم، مساء الإثنين الماضي، 6 تموز، ولكنها باقيةٌ معنا

لن أتحدث عن دورك المميز جداً، كأستاذة للتاريخ في أكثر من فرع من جامعة السوربون الفرنسية، وعن إشرافك على العديد من أطروحات الدكتوراه التي كتبها طلاب من جنسيات عديدة، ومن ضمنهم لبنانيون ولبنانيات، وعن كتبك وكتاباتك الكثيرة المنشورة، عن لبنان وفلسطين والشرق الاوسط، وبين أهمها:

La déchirure libanaise / Nadine Picaudou / Bruxelles : Éd. Complexe, 1987.

Les Palestiniens, un siècle d'histoire : le drame inachevé / Nadine Picaudou / Bruxelles : Editions Complexe , 1998

L'islam entre religion et idéologie : essai sur la modernité musulmane / Nadine Picaudou / [Paris] : Gallimard , DL 2010

لكني سأثمِّن، بوجه اخص، كيف ان مسيرتك الطويلة كأستاذة جامعية، وباحثة، ومتبحرة في التاريخ، كانت منصبَّة، بصورة أساسية، على قضايا شرقنا العربي، والإسلامي، ولا سيما منه فلسطين ولبنان، وحرصتِ، دائماً، على إبراز القضية الفلسطينية، والدفاع عنها، كما لو كنتِ في الصميم منها، وابنةً وفية لها، كأعظم ما يكون الوفاء.

وليس أقل أهمية ان أشير، أيضاً، وبالكثير من الإعجاب، إلى انكبابك في الفترة الأخيرة من حياتك على الكتابة الأدبية الإبداعية، وهو ما عبر عن نفسه بإصدارك الروايات الثلاث الجميلة التالية:

J'ai pris des trains dans l'hiver / Nadine Picaudou-Catusse / [Paris] : les Éditions Arcane 17 , DL 2016

La maison de la fontaine, éditions unicité, 2022.

La couleur du temps, les Éditions Arcane 17,

2022.

والكتب الثلاثة، لا سيما الأول والثالث منها، كتِبت بوحيٍ من الذكرى الأليمة لزوجك، غي كاتوس، الراحل، قبل مغادرتك بسنوات. وكان قيادياً بارزاً في الحزب الشيوعي الفرنسي.

ونحن ننتظر، بالتأكيد، وبفارغ الصبر، ما اكدته لنا ابنتك الروحية، نور، من انه ستصدر لك، في ايلول المقبل، آخر رواية كتبتِها، وهي عن لبنان.

أخيراً، ربما سيكون مفيداً أن اتحدث، ولو باقتضاب، عن زيارتيك الأخيرتين لنا، في كل من العامين 2011 و2023. ثم عن رسالتك الأخيرة لنجاة، اثناء مرضك الاخير، وقبل مغادرتك المؤلمة والحزينة جداً، لنا، ولكل الذين أحبوك.

فالزيارة الأولى تمت في مناسبة تكريم مدرسة البنات الرسمية الثانية، في بيروت-المصيطبة، لزوجتي نجاة ومُدرِّسين آخرين، بتاريخ الثاني من حزيران 2011. وقد جئتِ خصيصاً لحضور الحفلة. واستنحنا مجيئك هذا لإعادة تعريفك بمناطق عديدة من بلدنا، بينها، بوجه خاص، جبال تنورين.

المدن
جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى

تسعينيات القرن الماضي، الناجم عن تفشي حشرة السيفالسيا في أرجائها. وكما لدغدغة روح المؤرخة لديكِ، توقفنا، بصورة خاصة، أمام محلَّة الدوَيْر، شماليَّ الغابة، حيث دارت، في القرن التاسع عشر، معركةٌ طاحنة بين الجيش العثماني ومقاتلين من شتى أنحاء الشمال اللبناني، وبوجه أخص من إهدن وتنورين، كان يقودهم يوسف بك كرم، معركةٌ انتهت بهزيمة جيش الاحتلال، ومغادرته المكان، بعد تكبده خسائر جسيمة، في الارواح والعتاد.

كما توقفنا أيضاً، في محلةٍ، عند أسفل الغابة، تحمل اسماً شديد التعبير عن روح التمرد والغضب، لدى أبناء تلك الجبال، اسمَ "الحرية"! وأخبرتكِ كيف جاءت تلك التسمية، وذلك نقلًا عن رواية كاهن رعية تنورين، الراحل، ورئيس بلديتها، على امتداد عشرات السنين، الأب يوسف حرب. فبحسبه، انتقل الى تلك المحلة معظم أبناء عائلته، وهي الأكثر عدداً بين عائلات البلدة، بنتيجة صراع اجتماعي، مع ابناء عائلة أخرى أقل عدداً بوضوح، ولكنها أقرب، آنذاك، الى مواقع القرار في السلطنة العثمانية، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر- أوائل الربع الأول من القرن العشرين. وقد ظلوا هناك سبع عشرة سنة، بما فيه في الشتاءات القارسة، على علو ألف وسبعمئة متر!

كنتِ تستمعين الى تلك الروايات، فيما الشمس تغرب، تاركةً ألقها على الجبال العالية والوديان السحيقة، في مشهدٍ نادرٍ جعلك تقولين لنا، في إحدى اللحظات، وانتِ تتابعينه بشغفٍ، إنك لم تشاهدي يوماً نظيراً له، في أيٍّ من البلدان الكثيرة التي قُيِّض لك أن تتجولي فيها.

أما الزيارة الثانية - وهي ستكون الأخيرة، لبالغ الأسف - فتمت، في ربيع العام 2023. وقد استفدنا من الهنيهات التي قضيتِها معنا لأجل الانخراط في نقاشات طويلة حول عالمنا المضطرب ومصيره، وذلك قبل اشهر قلائل من انفجار "طوفان الأقصى"، وما أعقبه من كوارث مريعة على يد الاحتلال الصهيوني، قد تترك آثارها المفجعة، ليس فقط في الشرق الأوسط، وقريباً

المدن
جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى

وفي واحدٍ من تلك الايام القليلة التي أمضيناها معاً، صعدنا الى قرى ومدن الشمال، ولا سيما الى مدينة بشري، حيث مررنا بمتحف جبران خليل جبران. وقد تأملتِ رسوم الرجل ببعض السرعة، لكنك توقفتِ طويلًا امام قبره، وبوجه أخص أمام الكلمة المحفورة عليه، التي يقول فيها:
«أنَا حَيٌّ مِثْلُكَ، وَأَنَا الآنَ وَاقِفٌ إِلَى جَانِبِكَ... فَأَغْمِضْ عَيْنَيْكَ تَرَنِي أَمَامَكَ»
وحينٍ سألتُكِ إذا كنتِ تشعرين، بالفعل، بما أراد جبران أن ينقله إلينا عبر كلامه هذا، أجبتِ بعد بعض التفكير أنك لا تريدين، منذ تلك اللحظة، الوقوف بالجدية المطلوبة أمام معضلة الحياة والموت، وسوف تتركين لوقت لاحق مسألة الإجابة عن أسئلة بهذا القدر من الإشكال.

لوقتٍ لاحق، أجل! ولكن هذا الوقت لم يكن طويلًا. فبعد أقل من سنة، وجدتِ نفسك في وضع شاق للغاية، بعد عملية جراحية في الظهر بدت ناجحة، في مرحلة اولى، قبل أن يحدث الانتكاس، وتتوقفي عن الرد على رسائل نجاة العديدة.. إلى حين عدتِ، ذات فجر، في خريف العام الماضي 2025، فشرحت في رسالة اليها ما حصل لك من لَيٍّ للضهر، بسب حركةٍ غير موفقة، بعد ان توقفتِ لبعض الوقت عن متابعة تمارين إعادة التأهيل العضلي، وكيف انه باتت لديك آلام رهيبة، ولا سيما خلال الليل.

وأضفتِ: "ولكنْ حدثيني عنك وعن كميل. كيف أحوالكما؟... ثم كيف أحوال لبنان؟ فمع كل ما يحدث لي، ومع الوضع الرهيب في غزة، الذي يزعزعني، ويجعلني استشيط غيظاً ضد فاشيي تل أبيب، أعترف بأني لم أعد اتابع أخبار لبنان ما فيه الكفاية. وأنا أرغب في ان تحدثيني عن كل ذلك، إذا كان لديك القليل من الوقت.
أعذريني مجدداً بسبب هذا الرد المتأخر.
أعانقكِ بقوة.
نادين".

«أَنَا حَيَّةٌ مِثْلُكَ، وَأَنَا الآنَ وَاقِفَةٌ إِلَى جَانِبِكَ... فَأَغْمِضْ عَيْنَيْكَ تَرَنِي أَمَامَكَ»!

المزيد للكاتب

كميل داغر

رسالة مفتوحة إلى الصديق وزير المال د.يوسف الخليل

لا نَدَعَنَّ المارد المندفع في لبنان يعود إلى القمقم

الأكثر قراءة

1 حين اشترى أحمد الشرع "الداء والدواء" من حي الحلبوني

2 خسارة مصر أمام الأرجنتين: هل هي "مؤامرة"؟!

المدن
جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى

4 رشا دندشلي لـ"المدن": "عروس قونيا" ستكون مزعجة للكثيرين

إعلان

تابعنا عبر مواقع التواصل الإجتماعي

إشترك في النشرة الإخبارية ليصلك كل جديد

اشترك معنا في نشرة المدن الدورية لتبقى على اتصال دائم بالحدث

المدن
جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى

اشترك الآن

إعلان

جريدة "المدن" الإلكترونية جريدة إلكترونية مستقلة مقرها بيروت تمثل التيار المدني اللبناني والعربي

روابط سريعة

معلومات

النشرة البريدية

خطوة بسيطة وتكون من المطلعين على الخبر في لحظة ظهوره

أدخل بريدك الإلكتروني

اشترك

© جميع الحقوق محفوظة لموقع المدن 2026 محتويات هذه الجريدة محمية تحت رخصة المشاع الإبداعي